# قصيدة (لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة) من روائع أدب الحكمة في العصر البابلي الوسيط

أ.د. مها حسن رشيد

كلية التربية الأساسية-الجامعة المستنصرية

**الكلمات المفتاحية**: نازي-ماروتاش، أيوب البابلي، مردوخ، العدل الإلهي

**الملخص:**

قصيدة بابلية تعد من روائع أدب الحكمة الرافديني تم تأليفها أواخر العصر البابلي الوسيط خلال فترة حكم الكاشيين بلاد بابل، حظيت بشعبية واسعة وأعيد إستنساخها مرات عديدة خلال العصرين الآشوري الحديث والبابلي الحديث وانتشرت على نطاق واسع ومن المرجح أنها كانت معروفة أيضًا في العصرين الأخميني والهلنستي ،والقصيدة عبارة عن صلاة شكر مُهداة إلى مردوخ، ملك آلهة ورئيس مجمع الآلهة البابلية مقدمة من قبل المعذب الصابر ( شوبشي- مشري- شكان) والمعروف بأيوب البابلي لشبه قصته من أيوب التوراتي، أعتقد سابقا انها تتألف من أربع ألواح مسمارية لكن الدراسات الحديثة أثبتت إنها خمس ألواح مسمارية أحتوت مايقارب ٥٠٠ الى ٦٠٠ سطر أفتتحت مقدمتها بعبارة Ludlul-bêl-nēmeqe بمعنى **(لأُمَجِدَنَّ رب (سيد) الحكمة)**.

**المقدمة :**

تعد المآثر الأدبية أقدم نتاجات العراق القديم وهي على إختلافها وتنوع موضوعاتها عكس نمط الحياة التي عاشها وما حمل من أفكار ومعتقدات وتصورات كونية أدت الى خلق مواضيع متنوعة، لربما كان النص الأدبي في بادئ الأمر ينقل شفاها أو يتلى وينشد على مسامع الناس في مناسبات خاصة والبعض منه كان يدرس ويعاد استنساخه في المدارس كما في قصيدة المعذب الصالح موضوع البحث، ويعود تأريخ تأليف أقدم النصوص الأدبية الى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، في البداية تركزت المواضيع على المعتقدات الدينية إذ اعتمد فيها المؤلف على الخيال والنمط الإسطوري دون معرفة العلل والأسباب وتفسير الأحداث بشكل موضوعي ومنطقي، وبتطور الزمن وتزاحم الأحداث التي عاصرها العراق القديم الى جانب مجيء الجزريين الى بلاد الرافدين وسكنهم الى جانب السومريين وإمتزاج الحضارتين نتج عنها موضوعات أدبية ذات سمات ومعتقدات خاصة أطرت بالطابع السومري، وقد تطرق سكان بلاد الرافدين الى مختلف صنوف الأدب ولم يتركوا صنفا إلا

وكتبوا عنه سواء كان شعرا أم نثرا أم قصة اتصف البعض منها بالتأمل والإستنتاج وطرح مشكلة معينة ووضع بعض الحلول لها وان كانت بسيطة جسدها المختص بأسلوب أدبي مشوق، أما أدب الحكمة وتطوره في بلاد الرافدين فهو مزيج من القواعد والقناعات الدينية والأخلاقية والإجتماعية والفلسفية المطعم بالذوق الأدبي العام الذي عالج بعض المشاكل المجتمعية ونقل لنا صورة حية عن ثقافة المجتمع آنذاك والتطور الذهني والقدرات العقلية لديهم وربط الأحداث التي مر بها سكان بلاد الرافدين والتي انعكست على تصرفاتهم تجاه الإله الخالق وبالعكس.

أما ما يخص تطور الإسلوب الأدبي والمعرفي لأدب الحكمة في بلاد الرافدين فعند قراءة بعض الدراسات الآثارية لباحثي الغرب نجد إنهم يرفضون فكرة معرفة العراق القديم لمفهوم الحكمة والفلسفة على حد سواء خصوصا في العهد السومري القديم بل وينسبوها للكتابات العبرانية فقط، وان النصوص المسمارية ذات المضامين الأدبية ماهي إلا قصص من نسج خيال الكتبة لا تمثل حكماء حقيقيون وإلا كيف يخطأ الحكيم ويرتكب أعمال يعاقب عليها من قبل الآلهة كون الحكمة هي تجسيد مبادىء الأخلاق داخل المجتمع، بدليل ان قصة المعذب السومري هو حلول العقاب ببطل القصة نتيجة ارتكابه الخطايا الأخلاقية والإهمال لطقوس العبادة، ويعتقد البعض الآخر احتمالية وجود أدب الحكمة في المجتمع السومري القديم الا انه لم يدون وانما كان ينقل شفاها، وان هذه القصائد لا ترقى لمستوى أدب الحكمة كما في سفري أيوب والجامعة، وأن تطور الفكر البشري في بلاد الرافدين وتطبيقه عمليا ما هو إلا مهارة في تطبيق الطقوس العبادية والسحر من قبل البشر ومهارة الآلهة في طرد الأرواح الشريرة وتجسيدها دور الربوبية ليس إلا، وخصوصا في شخصية المعذب الصالح / أيوب البابلي موضوع البحث والذي ذكرته النصوص المسمارية والكتب المقدسة كحكيم أو رجل صالح أو نبي، وعلى إختلاف التسميات والعصور التي دونت فيها قصة أيوب إلا إنها جاءت لتنقل قصة متشابهة تتلخص في رجل متنفذ حكيم وعابد ورع تعرض لمحنه كبيرة خسر فيها صحته وأمواله وعائلته وأصدقائه وبقي وحيدا يطلب المغفرة من الإله للخلاص من المرض والعوز والظروف السيئة التي المت به ثم خلاصه من جميع البلايا والمحن وحصوله على العفو الرباني وتحقيق مبدأ العدالة الإلهية .

**قصة المعذب الصالح (( أيوب البابلي))**

قصيدة بابلية طويلة تم تدوينها في العصر البابلي الوسيط / الفترة الكاشية، وقد أعتقد الباحثون انها تتألف من أربعة ألواح مسمارية والدراسات الحديثة أثبتت انها خمس ألواح مسمارية أحتوت ما يقارب ٥٠٠ الى ٦٠٠ سطر أفتتحت مقدمتها بعبارة-Ludlul-bêl nēmeqe بمعنى **(لأُمَجِدَنَّ رب (سيد) الحكمة)**[١]، عرفت القصيدة بعنوان أيوب البابلي لأوجه الشبه الواضحة بينها وبين قصة أيوب المشهورة في التوراة ومن خلال تراجم النصوص المسمارية عرفت بالمعذب التقي ومأساة الصالح الصابر وغيرها من التراجم، تضمنت القصيدة أحد أشهر القصص الأدبية التي انتشرت بشكل واسع بين آداب شعوب العالم القديم بأحداث مختلفة لكنها تحمل نفس الأفكار وتعالج ذات الموضوع وهو مبدأ العدل الإلهي وما يتضمنه من جوانب عقائدية وفكرية وروحية وأخلاقية وفلسفية، وبطل القصيدة شخص يدعى( شوبشي- مشري- شكان) يروي معاناته من المرض والعوز والجوع وزوال النعم وكذلك يشير الى سبب شفائه ومعجزة الخلاص بمساعدة الإله مردوخ[٢]،وتجسد قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** مجموعة مفاهيم كالخير والشر والثواب والعقاب يعيشها الانسان في الحياة الدنيا[٣].

**تأريخ تدوين قصيدة أيوب البابلي:**

أجمع الباحثون على تأريخ تأليف القصيدة في الألف الثاني قبل الميلاد، في العصر البابلي الوسيط/الفترة الكاشية وتحديدا خلال حكم الملك (نازي-ماروتاش ١٣٠٧-١٢٨٢ق.م) إذ ورد إسم (Šubši-mešrê-Šakkan )( شوبشي- مشري- شكان) في ثلاث نصوص مسمارية، ونظرًا لندرة ورود هذا الاسم فيحتمل أنه هو ذاته صاحب القصيدة، النص الأول والأكثر أهمية هو عبارة عن وثيقة قانونية من مدينة أور، مؤرخة بالسنة السادسة عشرة من حكم الملك نازي-ماروتاش[٤]، وقد ورد اسم (شوبشي- مشري- شكان) في النص بلقب "حاكم البلاد" و يشير النص أنه كان حاكمًا محليًا صاحب مقام عال ونستدل على ذلك بحسب ما ورد في القصيدة **(( أمرتُ بلادي بحفظ طقوس الإله، وحثثتُ شعبي على تقدير اسم الإله، مدحتُ الملك كما مدحت الإله، وعلمتُ جندي تبجيل القصر ))**، ورد كذلك اسم (شوبشي- مشري- شكان) في نص إداري من مدينة نفر ومؤرخ بالسنة الرابعة من حكم الملك نازي- ماروتاش[٥]، كما وعثر على نص مسماري ثالث من قوينجق ورد فيه اسم (شوبشي- مشري- شكان) ملازما للملك الكاشي (نازي – ماروتاش)، ويرجح بعض الباحثين تأريخ تدوين

القصيدة الى زمن سلالة إيسن الثانية وتحديدا في عهد الملك نبوخذ نصر الأول وذلك لتشابه الإسلوب الأدبي وإنتقاء المفردات المعبرة ذات المعاني العميقة مع كتابات الملكية [٦].

**مضمون قصيدة (لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)**

تضمن اللوح الأول من القصيدة ١٢٠ بيت من( ١-٤٠) أفتتحها ناظم القصيدة بتمجيد ومدح الإله مردوخ، ثم أشتملت الأبيات صورتين متناقضتين لمردوخ فمره نجده إلاها غاضب مدمر ومرة أخرى نجده الإله الرحيم والمخلص، بمعنى ان الشخصية الإلهية لمردوخ قد جمعت بين الغضب والغفران (٤١-٤٦) يذكر الراوي كيف فقد الحظ وأنهالت عليه المصائب والمحن، الأبيات(٤٩-٥٤) تذكر أن مصيبته تجلت في خسارة حظوته في البلاط الملكي، وتآمر عليه سبعة رجال من البلاط وخططوا لإسقاطه، وغضب الملك وإنقلابه عليه فخسر منصبه، (٥٥ وما يليه) صار جميع سكان مدينته وأصدقاؤه وعائلته أعداء له فأصبح شخص منبوذ إجتماعيا، (٨٢-٩٢) لم يجد تعاطف أحد، ولم يسمع كلمة طيبة ويصف نفسه بإنه أصبح لعنة (٩٣-٩٧) فقد ممتلكاته وأصدقائه وعائلته وصحته فلجأ إلى آلهته الشخصية واللأرواح الحامية لكنهم لم ينقذوه، وطلب من العرافين معرفة ذنبه وما أقترف من خطيئه ليستحق هذا العقاب من الإله مردوخ لكن لم يستطع أحد مساعدته، تضمن اللوح الثاني(٣-٩) إنقضى عاما كامل ولم يرضى ربه عنه ولم يشفى من مرضه رغم أنه كان عابدا تقيا ولم يترك الصلاة ولم يهمل قرابين الآلهة، (١٠-٣٨) يشكو الراوي معاناته في عدم فهم سلوك الآلهة وكيف يرضيهم (٣٩-٤٨) لا يوجد أي توافق بين السلوك البشري والاستجابة الإلهية وأنه عوقب بمختلف الأمراض ظلما، (٤٩ وما يليه) ساءت حالته الصحية ووقع طريح الفراش ولم يكن أمامه سوى انتظار الموت وقبل وفاته شيعت عائلته جنازته ورأى قبره يُفتح (١١٤-١٢٠)، أما اللوح الثالث فقد تضمن ثلاث أحلام (١٠ وما يليه) شاب أُرسل اليه يبدو أن ظهور هذا الشاب في الحلم كان علامة على نجاته من كل ما ألم به من أمراض ومصائب، أما الشخص الثاني الذي ظهر في الحلم فهو كاهن (معزم) ربما كان يحمل وعاء ماء لإجراء طقوس التطهير، أما الشخص الثالث الذي ظهر في الحلم فكانت امرأة شابة ذات مظهر إلهي مماثل لمظهر الشخص الأول المختلف عن الشخص الثاني أما الشخص الرابع الذي رآه الراوي في حلمه فكان كاهن معزم من بابل وكان يحمل لوح عليه كتابه ربما كُتبت عليه خطايا وذنوب صاحب القصيدة وربما تضمن اللوح تعاويذ أدت إلى نهاية محنته وبداية شفائه، وتفسير الأحلام ان هؤلاء الأشخاص هم رُسُل الإله مردوخ المنقذ، عندما هدأ غضبه استجاب دعوات

وصلاة المعذب فرفع عنه غضبه وسخطه، أما اللوح الرابع فيتضمن إنقاذ مردوخ له، وانه خاض المحنة النهرية لإثبات برائته، أما اللوح الخامس فقد أشار إلى الأشخاص الذين أساءوا معاملته والأرواح الشريرة التي جلبت له الأمراض، فضلا عن معاقبة مردوخ للناس المسيئين ومسامحة وإثابة المتقين ، كما وتتضمن أبيات اللوح الخامس تمسك سكان بابل بعبادة الإله مردوخ وحكمه الإلهي للعالم أجمع، وطلب المعذب من مردوخ أن يُسمح له إخبار الناس بما حل به من مصائب سببتها ذنوبه وإهماله الواجبات الدينية تجاه مردوخ ومعبده [٧].

**لغة القصيدة :**

كتبت قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** بأسلوب ترانيم على هيئة منجاة فردية وصيغت بشكل مونولوج[٨]، وتميزت لغتها بغزارة المفردات والإستعانة بعبارات ندر استخدام بعضها وتضمنت أبياتها بعض المصطلحات الطبية الدقيقة يبدو أن المؤلف كان مُلِما بالتراث العلمي لعصره، بما في ذلك النصوص الطبية، إذ استعان ببعض المصطلحات الداله على الأمراض والتي لا تستخدم إلا في الكتابات التشخيصية، كما وتضمنت أفعال دلالية جاءت بصيغة المضارع لتعطي للقارىء انطباع على وقوع الأحداث زمن تأليف القصيدة، تضمنت كذلك أنماط لفظية متناسقة ومتوازنة لخلق نص درامي قدمه ناظم القصيدة بضمير المتكلم فهو الشخصية المعلومة الوحيدة في النص الى جانب الحضور الدائم لمردوخ في جميع أحداثها وظهور شخصيات ثانوية لعبت دورا مهما وبارزا في حياة (شوبشي- ميشري- شكان) [٩] هذا الثالوث نتج عنه عمل متكامل وشمولي في مجتمع كان تحت وطئة أقوام أجنبية إقتبست الفكر الرافديني وأنصهرت فيه[١٠]، يبدو ان المؤلف اتبع في صياغته الأدبية للقصيدة نمط الشعر الأكدي فتنوعت القوافي وأظهر جمع الأضداد فقد جمع الظلام والنور والخير والشر والليل والنهار وغيرها من المفردات [١١]، ولا يفوتنا ان ننوه عن الحبكة القصصية والتسلسل الزمني الدقيق في سرد الأحداث والمهارة الفنية والمعرفية لدى المؤلف ليخرج للعالم القديم عملا فنيا متكاملا يشبه المسرحية المتكاملة الفصول والمشاهد أو قصيدة أدبية أو نص درامي تتوفر فيه جميع مقومات الأسلوب القصصي المشوق والهادف[١٢].

**بطل قصيدة (لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة) :**

مما لا شك فيه ان جميع ما ذكره الباحثون حول شخصية (شوبشي- ميشري- شكان) كان من باب التخمين معتمدين على ما ورد من معلومات في ابيات القصيدة فقالوا

عنه كان رجلا ثريا وحاكم مقاطعة في عهد حكم للملك الكاشي ( نازي- ماروتاش ) وهو عبد صالح، احاطت به الويلات والنكبات عندما غضب عليه الإله مردوخ وتخلى عنه نتيجة تقصيره في أداء الواجبات الدينية كما وغضب عليه الملك وتأمرت عليه الحاشية واصبح شخصا وحيدا ومنبوذ اجتماعيا فتكت بجسده الامراض[١٣] ((**لقد تمكن مرض آلو من جسمي غطاه كالرداء، اذناي مفتوحتان ولكنهما لا تسمعان، وأصاب جسمي الضعف والوهن، واصبح السوط المسلط علي يرعبني ويعذبني، وصار معذبي يطاردني في النهار ويسلبني الراحة في الليل، لقد خذلني الاله ولم يقدم لي العون، ولم يعطف الهي علي ويخلصني من مصائبي، حسبني الجميع اني ميت كأن القبر مفتوح أمامي فنهبوا أموالي، فرح بي حسادي وشمت بي اعدائي ولم يستطع السحرة والمعزمون مساعدتي .....**)

تضمنت القصيدة أبيات عميقة المعاني، واسعة الرؤى تنم عن بلورة الفكر الديني والعقائدي خلال الفترة الكاشية أكثر من كونها قصيدة أدبية تحمل بين طياتها نموذج لأدب الحكمة البابلي فنجد عبارات ترمز للوحدانية وخلق الأنسان والمشيئة الإلهية والخلود والإيمان المطلق والتسليم التام للخالق[١٤]

**من يعرف مشيئة إله السماء؟ ،**
**من أين تعلم البشر طريق الإله.....**
**رأى البابليون كيف يُحيي [مردوخ]،**
**وأشادت كل الأرجاء بعظمته .....،**
**من غير مردوخ يُحيي موتاه؟**
**مردوخ (هو) القادر على إحياء الموتى،...**
**(يا) أيها البشر، على قدر عددكم**
**سبحوا مردوخ! ، ، الذي يمنح الكلام (الحكمة)**
**فليحكم جميع الشعوب،.....**
**راعي جميع المساكن (المعابد) .....**
**[ يتسع ] مدى السماوات والأرض،**
**حيثما وضع الأرض، وبسط السماوات...**

وتقدم القصيدة تحليل منطقي وحقيقي لشخصية الإنسان المؤمن وننقيضه الجاحد فيذكر المعذب الصالح اذا ما مرض الانسان او فقد ماله دعى ربه ليشفيه ويرزقه

وهذا إعتراف واضح بأنه ضعيف ولا يمكن أن يحقق شيء دون مشيئة الإله، وبالمقابل عندما يكون ثريا ومعافى ويمتلك كل مقومات الراحة والسعادة يجحد ويبتعد عن خالقه وكأنما هو مسبب الأسباب وبيده مفاتيح الرزق [١٥] ،

**من كان حيًا بالأمس، مات اليوم ، و (من) تجده كان حزينا ،**
**فجأة أصبح في غاية السعادة (و) في لحظة يغني الناس فرحا**
**وفي لحظة أخرى، يئنون حزنا..... عندما يتضورون جوعًا،**
**يصبحون كجثث الموتى وعندما يشبعون، ينافسون آلهتهم**
**في الرخاء اذا واتتهم الأيام يتحدثون بتكبر وكأنهم يريدون الصعود إلى السماء**
**(و) في الشدة ونزول المصائب يشتكون الحال وكأنهم هبطوا إلى الجحيم**

خلاصة القول أثبتت أبيات القصيدة ان حياة البشر مرهونة برضى الخالق وسخطه، وإعتراف الإنسان بعظمة خالقه بالرغم من قصوره الفكري وقلة وعيه ومقاييسه للحياة فهو مخلوق ابن ساعته بالأمس يولد واليوم يموت، يفرح ويحزن بنفس الوقت، يغني ويرقص فرحا، ولكنه سرعان ما ينوح ويبكي، دلالة على أن كل شيء في الوجود متغير ماعدا الخالق.

## الإله مردوخ ومبدأ العدالة اللاإلهية :

عالجت قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** بشكل أدبي بعض الجوانب السلبية والإعتقادات الخاطئة في التفكير البشري المحدود فنلاحظ في الآداب السومرية أهمية مكانة الكاهن الإجتماعية ودوره الكبير في حياة السومريين، لقد ورث المجتمع العراقي القديم عبر عصوره المختلفة الثقافة السومرية والعقل الجمعي في اتباع عاداتهم وتقاليدهم وعبادة آلهتهم الكثيرة وبحلول العصرين الأكدي و البابلي القديم بدأ التوجه الديني يتحول تدريجيا وملامح الديانة السومرية تتلاشى نتيجة تطور النظام السياسي والإقتصادي والتنوع العرقي الى جانب الهدوء النسبي داخل المجتمع الرافديني، فمن غير المنطقي أن يستمر تقديس عشرات الآلهة السومرية الرئيسية والثانوية آنذاك.

أما في العصر البابلي الوسيط خلال فترتي حكم الكاشيين وسلالة إيسن الثانية بالمدة المحصورة ما بين حوالي(١٥٠٠-١٠١٠ ق.م) تم تأليف نصوص جديدة من أدب الحكمة تضمنت التشكيك في قدرة الإنسان على فهم مبدأ العدالة الإلهية، وهو نوع أدبي تناول وجهات النظر التقليدية في المجتمع البابلي حول الأخلاق بشكل سليم، يبدو ان العلاقة

الثنائية بين مردوخ و (شوبشي- ميشري- شكان) كانت علاقة بين فاعل إلهي ومريضه البشري وتضمنت القصيدة طريقة تفكير مردوخ وعلاقته بالبشر والتي أساسها الأخلاق والفضيلة.

تشير النصوص الأدبية والكتابات الملكية من العصر البابلي الوسيط الى التفرد بعبادة الإله مردوخ فقد جعلوه رئيس مجمع الآلهة البابلية والإله الواحد المعبود في البلاد هذه الميزة منحت البشر حق المطالبة بالمساواة وتحقيق العدالة في مجتمع يسعى بشكل جدي لتحقيق مطالب الإله الواحد وتنفيذ أوامره، وقد أظهرت أبيات القصيدة عظمة مردوخ(١٦) والتي يتجسد فيها مبدأ العدل الإلهي.

**سأُسبّح رب الحكمة، (مردوخ) الإله الحكيم**
**يغضب في الليل، (ولكنه) هادئا في النهار**
**مردوخ ! رب الحكمة، الإله الرحيم**
**(إذا) يغضب في الليل، (يصبح) هادئا في النهار**
**الذي غضبه كعاصفة هائجة، (يصبح) مدمر**
**لكن نسيمه عذب كنسمة الصباح.....**
**في غضبه الذي لا يُقاوم، (يصبح) كالطوفان...**
**(لكنه) رحيم في عباده، عطوف ولين.....**
**لا تقوى السماوات على حمل ثقل يده،.....**
**كفّه الرقيق يُنقذ المُحتضر.....**
**هو الذي حُفرت القبور من غمرة غضبه.....**
**بعينه يُقيم من سقط من الكارثة.....**
**يُحدق بغضب، فتُفرّ الأرواح الحامية.....**
**(لكنه) ينظر بلطف، فيعود الإله إلى من رفضه،**
**عقابه الشديد قاسٍ وسريع.....**
**(لكنه) يصبح رحيماً، ويعود سريعاً الى حالته الطبيعية.**
**(إذا غضب) يبدو حاداً وينقض كثور بري.....**
**ولكن (بعدها) يعود بحذر الى حالته الطبيعية.....**
**لاذعة هي ضرباته، تطعن الجسد.....**
**(ولكن) ضماداته مداويه (رضاه يشفي العليل).....**

**يحيي الموتى يتكلم (يحاسب) ويُدين.....**

**(ولكن) في يوم تقدمته، تُغفر الخطيئة والتعدي....**

**(هو) من يُسبب (للإنسان) معاناة امراض الشياطين**

**(ولكن) بتعويذته تزول الأمراض.....**

قدمت هذه القصيدة اروع الصور في الدراسات المنهجية للمسائل الدينية وعلاقة المخلوق بالخالق في حضارة بلاد الرافدين، وصورت مردوخ الرب الذي يحكم العالم ويسير المخلوقات، يضرب بقوة كل من يخالف أوامره ويعاقب الإنسان على قدر خطيئته، وبنفس الوقت هو الرب الرحيم والمتسامح يغفر الذنوب عند التوبة والإستغفار(١٧)

و(شوبشي- ميشري- شكان) هو عبد صالح، احاطت به الويلات والنكبات فكيف ان العبد المؤمن والمطيع للآلهة بدلا من أن يجزى على اعماله الصالحة يعاقب ويحاسب كيف يمكن ان نفسر هذا التناقض؟ علما إنه يشيد بقوة إيمانه وتمسكه بعبادة مردوخ وعمل على نشر تلك العقيدة في مجتمعه كونه شخص متنفذ وذو سلطة(١٨)

**لم أعرف في حياتي سوى العمل الصالح والعبادة**

**شغلت أفكاري بالتضرع إلى الآلهة والتضحية والتقرب إليها**

**كانت أوقات عبادة الآلهة سروراً لقلبي**

**الأيام التي أسير فيها في موكب الآلهة مكسبي ونصري في الحياة**

**يبعث تمجيد الملك المسرة لقلبي**

**الموسيقى التي تعزف له مثار غبطتي وسروري**

**ألزمت أهلي وأتباعي مراعاة شعائر الآلهة وعبادتها**

**علمت الجند طاعة القصر لأن هذه الأعمال تسر الآلهة**

واذا عدنا الى نص القصيدة نجد ان ناظمها تراوده الحيرة في كيفية الحصول على العدل الالهي، فنجده يخاطب نفسه لماذا غضب عليه ربه وتساوى مع المقصر(١٩)

**يا لها من أفعال غريبة في كل مكان!**

**نظرتُ خلفي ( ربما يقصد عدت بذاكرتي )**

**إضطهاد مضايقة! كمن لم يُقدّم قرابين لإلهه**

**ولم يتضرع إلى ربه بقربان طعام.....**

**ولم يكن مُعتاداً على... ..ساجداً، ولا يُرى ساجداً**

**الذي غاب عن لسانه الدعاء والصلاة**
**الذي أهمل الأعياد، وأهمل الطقوس**
**الذي أهمل طقوس إلهه (الإله مردوخ)**
**الذي لم يُعلّم شعبه التبجيل والعبادة**
**الذي لم يدع إلهه، بل أكل القرابين....**
**الذي تجاهل إلهه، ولم يُقدّم له أي تقدمة دقيق**
**كمن نسي ربه، وأقسم يميناً مقدساً بإلهه دون قصد**
**لقد بدوتُ كذلك! .....**

النص يطرح تفسيرين: التفسير الأول والمنطقي هو تقصير المعذب أداء واجباته الدينية تجاه ربه وهو يعلم علم اليقين ان الإله يغضب لذلك والسبب المنطقي الآخر يكمن في كون المؤمن مبتلى من قبل الإله فوضعه ربه في هذه المحنه من مرض وفقدان الأحبة وخسارة المركز الإجتماعي والمكانة المرموقة ليختبر مدى صبره وقوة إيمانه بخالقه.

أما التفسير العاطفي لأبيات القصيدة هو تعذر إستيعاب العقل البشر لجميع رغبات الإله وتطبيق مقاييس القيم البشرية على اعمال الآلهة وتصرفاتها، لان الانسان أصغر من أن يستطيع ادراك حكمة الإله، فإن ما يبدو صحيحا ومتكاملا في نظر الإنسان وبحسب تصوراته الذهنية المحدودة وسيستحق الثناء الثواب عليها ربما تكون لا شيء بأعين الإله.

**ليتني أعلم أن هذه الأشياء تُرضي الإله !**
**ما يبدو جيداً في النفس قد يكون إساءةً للإله**
**وما يبدو في القلب سيئا قد يكون جيداً لإلهه !**
**من ذا الذي يستطيع أن يتعلم منطق إله السماء ؟**
**من ذا الذي يستطيع أن يفهم نوايا ودواخل الإله ؟**
**أين كان البشر ليتعلموا طريق الإله ؟**

لقد عمد ناظم القصيدة من التأكيد على وجود مبدأي الثواب والعقاب فنجد الاله مردوخ كان غاضبا منتقم من بطل القصيدة لذنب أقترفه سواء كان بقصد أو بدونه، فصور قدرة مردوخ على جلب المحن والمصائب للمرء المذنب كنوع من العقاب الإلهي نتيجة مباشرة لإرادته في تصويب طريق الإنسان وبعد التوسل وطلب التوبة والسماح منه أثاب ( شوبشي-

مشري- شكان) فأستعاد عافيته وكل ما فقده فتحقق مبدأ الثواب وهو دلالة على الشمولية وقدرة الإله مردوخ في منح السعادة أو الشقاء لبني البشر(٢٠)

وخلاصة القول ان النص الأدبي **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** يحث الإنسان على الثقة بربه والتفاؤل والأمل مهما كان سبيل الوصول لرضا الإله صعب وغير واضح، ومهما كان الإنسان يفتقر إلى الفهم العميق في تحقيق ذلك الرضا وتعرضه لظروف قاسية لا يقوى على تحملها ويدخل في أعمق مراحل اليأس والقنوط، لكن عليه أن يعلم ان خالقه لا يتخلى عنه ويبقى مؤمنا بعدله وقضاءه، وفيما يلي دراسة لأهم الجوانب الدينية والنفسية والأخلاقية والفلسفية التي تضمنتها أبيات القصيدة:

**الجانب الديني :**

تؤكد الترانيم منذ العصر السومري القديم عن بُعد الآلهة عن البشر والأمور التي ترتبت عليها تصرفاتهم تجاه ذلك، ويلاحظ أيضا تطور الفكر الديني خلال العصور المتلاحقة وصولا الى العهد البابلي الوسيط، فنجد الكاشيين، إتبعوا طريق أسلافهم في إتباع عقيدة مفادها أن الإنسان لا يملك إحساسا بديهيا بفعل الخطيئة، وأن الآلهة وحدها هي التي تستطيع كشفها ومعاقبته عليها، بمعنى أن الإنسان يجهل أعماله فتعرف هنا بخطيئة الجهل، يبقى التساؤل المطروح في هذه الحالة هل يمكن لشخص لا يملك الوعي بإرتكاب المعاصي والذنوب ويقع في الخطيئة ومع ذلك يعد مذنبا أمام الإله؟ وهل الإنسان لا يستطيع أن يتعلم الصواب والخطأ إلا بالوحي الإلهي؟ الإجابة تكون أن الإنسان لا يستطيع التميز أبداً بين الخير والشر والصح والخطأ بسبب بُعده عن الآلهة. وهذا ما طرحته فكرة القصيدة فالتفسير المنطقي هو أن المعايير الأخلاقية مرتبطة بالجانب الديني إرتباط وثيق والإلتزام الديني ما هو إلا إنعكاس ما يحمله المرء من قيم أخلاقية وإنضباط سلوكي تجاه الآلهة، وعند قراءة أبيات قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** نجد ان المغزى الحقيقي في كتابة هذا النص كان لهدف ديني عقائدي، وهو تقديم وثيقة مكتوبة في شكر وتمجيد الإله مردوخ .

**لم أعرف في حياتي سوى العمل الصالح والعبادة.....**
**شغلت أفكاري بالتضرع إلى الآلهة والتضحية والتقرب إليها**
**كانت أوقات عبادة الآلهة سروراً لقلبي .....**
**الأيام التي أسير فيها في موكب الآلهة مكسبي ونصري في الحياة**
**يبعث تمجيد الملك المسرة لقلبي .....**

**الموسيقى التي تعزف له مثار غبطتي وسروري .....**

**ألزمت أهلي وأتباعي مراعاة شعائر الآلهة وعبادتها ...**

**علمت الجند طاعة القصر لأن هذه الأعمال تسر الآلهة**

وثق فيها جميع المراسيم الدينية والفروض التي أداها لكسب رضا إلهه فأستجاب له ومنحه الشفاء التام، لقد آمن (شوبشي- ميشري- شكان) بأن مردوخ هو اللإله الخالق المحيي المميت فقد أحياه من موت محقق وهو مخلصه من العذاب فقدم من خلال هذه القصيدة صلاة شكر له ولزوجته صربانيتم والتزم بزيارة الإيساكيل وتقديم الأضاحي والقرابين والهدايا بشكل منتظم وهذا دليل على الشفاء التام وانتهاء محنته وغفران خطيئته

**ليكن خلاصي على فم (ينطق به) سيدي**

**ليكن إطلاق سراحي على فم (ينطق به) سيدي**

**دعني أرى بابل، دعني أصعد إلى الإيساكيل...**

**دعني أذهب إلى بابل، .....**

**دعني أرى كلمتك، اسبح بحمدك.....**

**دعني أعلن مجدك كل يوم لذوي الرؤوس السوداء**

**أمجد عظمتك وأتلو ثنائك مرارا وتكرارا**[٢١]..

**الجانب النفسي :**

المحور الثاني والمهم في نظم قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** هو وصف معاناة (شوبشي- ميشري- شكان) والظروف النفسية السيئة التي مر بها وشملت جميع تفاصيل حياته، والصراع النفسي والعقلي حول مسألة العدل الإلهي وتساؤلاته الكثيرة التي أوقعته بين الشك والحيرة بشأن كل ما مر به من عذابات وآلام إنتهت عندما قرر مردوخ ان يغفر له ويخلصه من أوجاعه وأعاده لحياته السابقة وأنعمعليه بالصحة والجاه والثراء [٢٢]

ففي اللوح الأول وصف دقيق لفقدان (شوبشي- ميشري- شكان) السلطة والمركز الإجتماعي ووظيفته في القصر فضلا عن ثقة الملك به، وتكالب الناس عليه وقلة إحترامهم له فتحول من رجل ثري متنفذ قريب من الملك وحاكم لإحدى المقاطعات الكاشية لديه رزقا وفير وأولادا صالحين والكثير من الأصدقاء الى شخص فقير وعليل ينظر المجتمع له بإزدراء ويتآمر رجال البلاط عليه فيتحول الصديق الى عدو كالحلم بين ليلة وضحاها أنقلب كل شيء ضده[٢٣]

**ما قيل في الشارع (عني) كان ينذر بالسوء لي**
**وعندما استلقيت في الليل، كان حلمي مرعباً**
**الملك ممثل الإله، شمس شعبه قسى قلبه عليّ**
**تحول تسامحه إلى بغضاء .....**
**كان رجال الحاشية يدبّرون لي المكائد والعداء**
**وحشدوا أنفسهم للتحريض على أعمال سيئة**
**إذا قال الأول: "سأجعله ينهي حياته"**
**قال الثاني: "لقد عزلته عن منصبه!"**
**و قال الثالث: "سأستولي على منصبه!"**
**ويتعهد الرابع "سأحصل على ممتلكاته!"**
**كما يُفسد الخامس عقول الناس، يتبعه السادس والسابع!**
**حشدت زمرة السبعة قواها، بلا رحمة كالشياطين، أشبه بالشياطين.**
**هكذا كانوا كالجسد الواحد، (ولكن) بسبعة أفواه**
**وقلوبهم تستعر عليّ كالنار.....**

يمر المعذب الصالح بحالات من الإنكسار والوحدة فبعد أن كان سيد المدينة يصبح عبداً منبوذاً من قبل المجتمع هجره الأحبة والأصدقاء ويتعرض للتكذيب والتلفيق وتراوده الأفكار بشكل يومي لماذا كل هذا الكره و المشاعر العدائية من قبل الناس، وهنا يبقى التساؤل المطروح هل إذا ما أصاب المرء مرضاً معين وزالت عنه النعم يهجره الناس ويصبح منبوذاً ووحيداً ؟ بعض أبيات القصيدة تحتاج منا تأمل، تحتاج منا أن نتوقف عندها لنتساءل من هو (شوبشي- ميشري- شكان) ؟ ومن يكون صاحب قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** ؟

**أنا العظيم أصبحتُ عبدًا، أصبحتُ وحيداً في عائلتي الكبيرة**
**يشار لِيّ وأنا أسير في الأزقة، أدخل القصر فتُحدّق بي العيون**
**تنظر إليّ مدينتي كعدو ، وتبدو بلدتي عدوانية وعدوانية!**
**أصبح أخي عدوي، أصبح صديقي شيطانًا خبيثاً.....**
**يُديني صديقي بوحشية..... جعلتني عائلتي رجلا غريبا**
**كل من يُحسن الظن بي ينتظر المصائب .....**
**بينما كل من يُسيء إليّ يمضي قُدماً.....**

**من لفق وشوه سمعتي كان له إلهٌ يحميه،**

**أما من قال: "يا للأسف!" مات باكراً،**

تستمر حالة اليأس نتيجة إستمرار الويلات والمصائب التي تنهال على (شوبشي- ميشري- شكان) فنجده في (اللوح الثاني) يصف الحالة التعيسة التي مر بها وأنواع الأمراض التي تسكن جسده، فلا دعاء يقبل ولا صلاة ترفع ولم يرضى عنه ربه وهنا أيقن بأن كل ما يتعرض له هو بسبب الغضب الإلهي الذي عجز الكهنة والعرافين عن دفعه عنه بل على عكس ذلك فقد سلمت عائلته للقدر المحتوم ولم تزل تنوح وتبكي تتوقع وفاته في أي لحظة فجهزت لمراسيم جنازته(٢٤)

**عام كامل! مرّ على المرض، ازداد سوء حظي.....**

**ولم أجد حظاً سعيداً، دعوتُ إلهي فلم يستجب لي .....**

**صليتُ لإلهي فلم يتقبل (مني)،لم يتوصل الكاهن بفحصه**

**إلى حقيقة الأمر ولم يُفسّر مُفسّر الأحلام ببخوره قضيتي**

**توسلتُ إلى (مردوخ) ( وشخص) في حلم لكنه لم يُنيرني،..**

**ولم يُهدئ طارد الأرواح الشريرة بطقوسه الغضب الإلهي**

وفي أبيات أخرى نقرأ:

**لم يقع الكاهن على علتي، بينما لم يضع العراف حداً زمنياً لمرضي**

**لم ينقذني إله ولم يُساعدني، لم يشفق عليّ ربي، ولم يساندني**

**كان قبري مفتوحًا، ومتعلقاتي الجنائزية جاهزة، قبل أن أموت**

**تم الرثاء عليّ، قالت كل بلادي: "يا له من بؤس!".....**

**عندما وصل خبر وفاتي أشرق نهار عدوي، وأظلم النهار على عائلتي،**

**وغابت الشمس على كل من يعرفني.....**

عاش (شوبشي- ميشري- شكان) أزمة نفسية صعبة للغاية ومعقدة صورها لنا بمفردات طبية تشخص حالته الصحية المتهالكة فقد حرم لذة النوم ولذيذ الطعام وغابت عنه السكينة والراحة والهدوء

**إن الداء يطول! بسبب قلة الطعام تبدو ملامحي شاحبة،**

**وجسمي هزيل جف دمي، عظامي هشة يكسوها (فقط) الجلد**

**أُجبرت (لأكون طريح) الفراش حبيس البيت الخروج منهكا لي**

**تحول بيتي إلى سجني. كانت آلامي شديدة، والضربة قاسية!**
**جلدني سوطٌ مليء بالأشواك، كان المعذب يعذبني طوال النهار**
**ولا يدعني لحظة في الليل لأتنفس بحرية.....**

فقد أصيب بشتى أنواع الأمراض والعلل أنشلت أطرافه فلم يقوى على الحركة ولا يستطيع الكلام ولا السمع ولا البصر وبدأت أحشائه تتشابك مع بعضها البعض جوفه مسدود، وأخذ لحمه يتساقط وحالته الصحية والنفسية تسوء يوما بعد يوم ولكن برغم غضب إلهه عليه إلا انه لم ييأس من رحمته وعدله.

**ضربوا رأسي!! ..... [كانت ملامحي].... متجهمه، سالت دموعي كفيضان، شدوا عضلاتي، وجعلوا رقبتي مترهلة،..... ضربوا دقوا صدري!! ... أصابوا لحمي، وأصابوني بتشنجات، أشعلوا النار في معدتي، قلبوا أمعائي، ولووا أحشائي، أصاب السعال رئتي، أصابوا أطرافي، وجعلوا لحمي طريًا، تهدمت قامتي الشامخة كجدار، أصبح قوامي القوي كالقش، عيناي تحدقان فلا تبصران، أذناي مفتوحتان لكنهما لا تسمعان، فقدت الشعور في جسدي كله وأصاب الشلل جسدي، تصلبت ذراعيّ، ودب الوهن في جسدي ونسيت قدماي الحركة. [سكتة دماغية] أصابتني، أشعر بالاختناق ، [علامات الموت غطت وجهي!] [إذا همس لي أحد، لا أستطيع الرد عليه .[.....يبكون، لقد فقدت الوعي. فمي مقفل، وصاعقة تطبق على شفتيّ. جوفي مغلق، أصبح العطش والجوع بشكل مزمن ]**

ثم تحدث إنتقاله في آخر بيتين من اللوح الثاني فنجد تجدد حالة الأمل لدى المعذب الصالح تلمح بوجود بارقة أمل تخلصه من معاناته وآلامه وتنجيه من الموت المنتظر، أما في اللوح الثالث يرى " شوبشي " ثلاثة أحلام متتابعة ظهرت فيها عدة شخصيات أخذت تتوسط بينه وبين الآلهة لتنعم عليه بالشفاء، ثم صدر الأمر بالعفو عنه ووعده بنوال الشفاء واستعادة صحته.

وفي اللوح الرابع تمجيد لمردوخ كبير الآلهة الذي يرد الحياة للمشرف على الموت، ويحيي من وصل إلى جوف القبر، وهنا تنتهي معاناة المعذب البابلي وتتحول التعاسة الى سعادة ورضا.

**لقد أبعد مردوخ الرياح الشريرة التي تهبُّ من الآفاق، واجتث جذور الوهن منّي مثلما تُجْتَث الشجرة. وها أنا ذا أسير في الطرقات حُرًا من كل مرضٍ وألمٍ، وكل من ارتكب خطأً في حقِ مردوخ فليتعلَّم منّي. لقد أنهضني مردوخ وأخذ بيدي، وضرب اليد التي كانت تُؤذيني.**

**فمَنْ غيرُ مردوخ يستطيع استعادة المحتضر إلى الحياة؟ فما دامت الأرض مبسوطةً والسماء مرتفعة، وما دامت الأنهار تجري والرياح تهبُّ، ليمتدحنَّ كل إنسان الإله مردوخ.**

وأخيرا تقبل الإله مردوخ صلواته وتوسلاته وتقدماته

**لكثرة سجودي والتضرّعات ذهبتُ إلى الأيساكيل... أنا الذي نزلتُ إلى القبر قد عدتُ إلى باب الشمس المشرقة... إلى باب الخيرات، أُعيدت إليَّ الخيرات، إلى باب الملاك الحارس فعاد إلى جانبي ملاكي الحارس... إلى باب الخلاص فتم خلاصي... إلى باب الحياة فوجدت نعمة الحياة... إلى باب الشمس المشرقة فعدتُ من جديد إلى الحياة... إلى باب النبوات فتحققتْ نبواتي. إلى باب غفران الخطايا، فغُفرتْ خطيئتي... إلى باب المديح فتمكن فمي من السؤال... إلى باب نهاية التأوهات، فتوقفتْ تأوهاتي... إلى باب المياه العذبة مياه التطهير حيث اغتسلتُ... إلى باب السلام حيث واجهتُ مردوخ. إلى باب الكمال النهائي فقابلتُ رجل صربانيتم... وفي حالة من الابتهال والتضرّع لم أنفك عن الصلاة... فوضعتُ أمامهم البخور العطر... وقدمتُ الهدايا والقرابين بأكداس... وذبحتُ ثيرانًا سمينة وخرافًا ضخمة.**

## الجانب الأخلاقي :

تعد قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** من أشهر القصص الأخلاقية التي تهتم بالجانب التربوي والتعليمي معا، وقد ألقت الضوء على القيم الأخلاقية في حياة الإنسان فهي مقياس الإنسانية ومحور الإختلاف عن باقي الكائنات الحية فلا قيمة للعقل البشري دون أن يجمل بالأخلاق والمثل السامية وتعتمد بشكل أساس على الإدراك العقلي والسلوك السوي.

فنجد أبيات القصيدة تتحدث عن أخلاق الآلهة في التزامها الصدق بالوعد مع البشر في إستجابة دعاء ( شوبشي- مشري- شكان) وتقبل توبته نتيجة الإلتزام الأخلاقي منه أزاء الإله فعلى الرغم من حجم الألم والفقدان والخسائر بالأبناء والاموال لكنه لم ييأس من رحمة وعطاء مردوخ والإيمان به، فلم يكفر ولم تتزعزع ثقته بخالقه، إذ تبين القصيدة ان بطل القصيدة لم يتنصل من تقصيره تجاه مردوخ و إرتكابه الذنوب بل على العكس تحمل المسؤولية وعد ما آل اليه هو نتيجة أفعال لم يدركها عقله المحدود مخالفة لضوابط وتعاليم مردوخ التي تسببت بغضبه الشديد لكنه لم يتخلى عنه ومن هنا نستنتج أن الإرادة الإلهية والأخلاق البشرية مرتبطة ومتلازمة وغير قابلة للقياس. وسلطت الضوء على مشكلة المعاناة المؤلمة للصالحين [٢٥].

**الجانب الفلسفي :**

نظمت قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** في نهاية الفترة الكاشية من العصر البابلي الوسيط خلال المدة التي أصبح فيها مردوخ رئيساً لمجمع الآلهة في بلاد بابل وبدأ يُطلق عليه لقب "ملك الآلهة" على أحجار الحدود وغيرها من الوثائق الرسمية [٢٦]، وبغض النظر ان كانت مقتبسة من قصة سومرية أو بابلية قديمة أم هي وليدة الفترة الكاشية، ما يلفت إنتباهنا هو التحول الديني الذي يقودنا الى التغير الجذري في الفكر العقائدي لدى الفرد العراقي القديم آنذاك، من المسلم به ويعد حقيقة معلومة لدى الجميع أن مع تقدم الحضارات وإزدهارها، تصبح قيمها الأساسية معرضة لخطر فقدان قبضتها على الأفراد المشاركين فيها وعلى رأسها الدين إذ يبدأ الشك والريبة واللامبالاة في تقويض البنية الروحية التي تُشكل تلك الحضارة وما تحملها من القيم الأخلاقية، مع ازدياد مركزية الدولة البشرية وتنظيمها الصارم أصبح التمرد على الظلم العام في العالم أكثر وضوحاً ومنطقية، ولكن أقل قوة في التعبير عنه لقد تغيرت النظرة البشرية للكون بالفعل ولم يعد الإنسان يسمح لعالمه بأن يكون تعسفيا في جوهره بل طالب بأن يكافىء على قدر عمله ويكون له وجود ودور حقيقي وفاعل في التنظيم المجتمعي فلم يعد الشر والمرض وهجمات الشياطين مجرد أحداث وحوادث عابرة، وهنا يبدو ان النظرة الفلسفية للكون قد تغيرت بشكل كامل فظهر الصراع بين ردود الأفعال البشرية مع الإرادة الإلهية وعندها ظهرت مشكلة المعاناة المؤلمة للصالحين، وكان من أروع القصص الفلسفية ذات المضمون الأدبي في أدب الحكمة البابلية هي قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** فقدصورت العذاب الذي يصيب العبد الصالح لا يبقى ملازماً له إلى الأبد، بل هو امتحان له من إلهه لاختبار صبره وتعلقه بخالقه والالتزام بأحكامه والرضوخ للقضاء والقدر الذي عجزت الكهنه عن تغييره[٢٧]، فكان كان صابراً محتسباً لم يترك الصلاة والدعاء ولم يبتعد عن ربه مثل ما فعل أيوب التوراتي فقرر مردوخ اعادته إلى حالته السابقة من الصحة والثروة والجاه، أظهرت أبيات القصيدة جانب فلسفي عظيم من خلال ثلاث أحلام رأها ( شوبشي- مشري- شكان) وكما ذكرناها سلفاً، فظهر له في الحلم الأول شاب جميل وبسبب وجود كسر في النص لا يعلم ماذا أراد الشاب ان يبلغه، وفي الحلم الثاني رأى كذلك شابا جميلاً فعل له التعاويذ والرقى لطرد الشياطين والأرواح الشريرة وانهاء عذابه، أما الحلم الثالث فشاهد امرأة كأنها ملكة أو إلهه بشرته صراحة بقرب الخلاص، وظهر من بعد ذلك كاهن مع لوح من الاله ونقش بأمره لتخليصه من محنته واعادة الصفاء والرخاء له[٢٨].

طرحت قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** مجموعة من الأسئلة المنطقية ذات مضمون فلسفي ديني وأخلاقي فمن خلال قراءة أبياتها نجد ان ( شوبشي- مشري- شكان) راودته مجموعة أسئلة تدور بفلك حجم القدرة العقلية والإدراكية للبشر ومدى إستيعاب العقل البشري لحجم الآلام والأوجاع وحالة العوز والفقد والحرمان التي عاشها وبالصبر والإيمان تمكن من إجتيازها وفيما يلي بعض من هذه الأسئلةالتي قد راودته ومنها:

هل يقارن حكم البشر بحكم الإله؟

هل سير الإنسان الغير مستقيم أفضل طريق للنجاح؟

هل الإنسان الذي لا يمتلك القدرة العقلية على فهم الأخلاق المطلقة يصبح آثم؟

هل يجب على الآلهة أن تتصرف بأخلاق أثناء تعاملها مع البشر؟

هل على الآلهة نشر الأخلاق بين البشر؟ وهل ينبغي على الإنسان أن يلتزم بذلك؟

وهنا يمكننا الإجابة عن جميع هذه الأسئلة بشكل مختصر ومحدد ومستمد من أبيات القصيدة

وفق ما ورد في نصوص أدب الحكمة في بلاد الرافدين بصورة عامة ومضمون القصيدة بصورة خاصة نجد ان مفهوم الكون عند السومريين والبابليين مرتبط بآلهه فقط فلم يكن في الكون سوى الآلهة ثم خلق الإنسان ليكون خادما لها لذلك فرضت عليه واجبات كان يؤديها تجاههم وان أساء لهم سواء بالفعل أو اللفظ فقد ارتكب الخطيئة، كذلك لم يميزوا بين الخطيئة الأخلاقية واهمال الواجبات الدينية[٢٩].

لقد ظهرت الاختلافات الرئيسية خلال الفترة الكاشية وما بعدها في تغيير المفهوم الديني والنظرة عن الآلهة فلم تعد تلك القوى التي تمثل الظواهر الطبيعة فحسب، بل بدأ العقل البشري يتفكر أكثر ويحاول إيجاد الحلول وأكبر مشكلة واجهت مستوى إدراكه هو كيفية كسب رضا الآلهة والحصول على العدالة الإلهية وحاولوا ملاءمة الكون مع القوانين الأخلاقية النابعة من الضمير البشري والعمل بموجبه مع الإله، فنجد المتألم يعترف بخطيئته على أمل المغفرة حينما سلط مردوخ عليه الشياطين والأرواح الشريرة فلم يشعر بأي قصور أخلاقي لأن الإله العادل مارس سيطرته الحازمة ضد ( شوبشي- مشري- شكان) حتى وان امتلكت الشياطين قوى خارقة للطبيعة للشر لكن المثقف الكاشي أدرك بأن الآلهة تمتلك جميع الوسائل لحماية البشر الذين هم تحت رعايتها، وتميزت الكتابات الأدبية في العصر

البابلي الوسيط بإستخدام بعض العبارات النادرة وهو دليل على تدريب الكتبة والثقافة المكتسبة ممن سبقهم وبإسلوب فلسفي عميق[٣٠]

ويوعز بعض الباحثين إتساع مساحة العمق في التفكير خلال حكم الكاشيين ربما بسبب الظروف السياسية التي عاشتها بلاد بابل الواقعة تحت الحكم الأجنبي فلم يميلوا الى أدب الفكاهة وإنما ركزوا على تأليف وإعادة نسخ النصوص الأدبية التي تحث على أداء الواجبات الدينية والاجتماعية المختلفة والرضوخ والخضوع التام للإله الواحد مردوخ، وظهور الوحدانية في المؤلفات الكاشية التي تُبشِّر بهذه الفلسفة[٣١].

يبدو من كل ما تقدم ان قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** قد حملت في طياتها رسائل عديدة كالمواعظ الدينية والإلتزام بالصلاة والدعاء والحث على سلك دروب الفضيلة للنجاة وتجنب إرتكاب المعاصي والذنوب مع التأكيد على قصور العقل البشري مقابل عظمة الإله وإن مهما أمتلك الإنسان من مكانة إجتماعية وسلطة وأموال وبنين وجاه إلا إنه ضعيف ويبقى يبحث عن العدالة الإلهية لعلمه بسواسية البشر في نظر الخالق الجبار.

**الخاتمة :**

١-تعد قصيدة **(لأُمَجِدَنَّ رب الحكمة)** إحدى روائع الأدب العراقي القديم بصورة عامة وأدب الحكمة في العصر البابلي الوسيط بصورة خاصة، فهو نص أدبي ديني وثقافي تعليمي وتربوي إرشادي نستطيع أن نصفه بالإستثنائي.

٢-القصيدة عبارة عن "ترنيمة" للإله مردوخ عدها الباحثون صلاة شكر مقدمة من المعذب الصالح ( شوبشي- مشري- شكان) يشكر فيها سيده الذي البسه رداء العافية بعد رحلة طويلة من العذابات والآلام التي عاشها لوحده.

٣- تضمنت أبيات القصيدة نوعا من التناقض اللفظي واستخدام العبارات المتضادة في وصف مردوخ فيصفه المؤلف بالرحيم والغاضب الودود المتأني والمنتقم مما يضفي على النص طابع الحيرة والشك لأن واقع طبيعة الإله مردوخ الخير واللطف والهدوء.

٤-تنقل القصيدة رسالة معبرة مفادها وجوب طاعة الإله وعدم إهمال الواجبات الدينية والتقصير المتعمد لأن هذا يغضب الإله فيخسر الإنسان حمايته ورعايته الإلهية وقد نظمها المؤلف بدقة من خلال إنتقاء العبارات المعبرة ليقدم لنا عمل أدبي ذو تركيبة خاصة ومُعقدة .

٥-ركزت القصيدة على مبدأ العدالة الإلهية ورغبة البشر في العمل الجاد للحصول عليها.

٦-إشتملت القصيدة على جوانب عدة ومنها الدينية والنفسية والأخلاقية والفلسفية، فمن خلال قراءتنا لأبياتها وجدنا تعمد المؤلف ان ينظم ترنيمة أو قصيدة تحمل معاني إنسانية سامية ومدى حاجة المخلوق لخالقه سواء في السراء و الضراء فلا بديل عن وجود إله حامي للإنسان.

**الهوامش:**

[1] )Lambert,W.G.,Three literary prayers of the Babylonians,1959-1960,p.47-66 ;Langdon, S.,Babylonian Wisdom. London – Paris,1923

[٢] ) جـــورج كونتنو،الحيـــاة اليوميـــة فـــي بـــلاد بابـــل وآشور،ترجمة:ســـليم طـــه التكريتي،ط٢،بغداد،١٩٨٦،ص٣٤٨.

[٣])فاضل عبد الواحد علي ،سومر أسطورة وملحمة ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ٢٤٨ .

[4])Gurney,O.R.,Šubši-Mešrê-Šakkan,Revue d'Assyriologie et d'Archéologie, Orientale, 80, 1986,190.; von Soden,W.,Der leidende Gerechte. Ludlul bēl nēmeqi,Band,3, Gütersloh,1990,p. 110–135

[5])Gurney,O.R.,The Middle Babylonian Legal and Economic Texts from Ur,London, 1983,PBS II/1,20

[6])Lambert,W.G.,Babylonian Wisdom Literature. Clarendon Press,Oxford, 1960,p.21ff

[7])George,A.R.,Al-Rawi,Tablets from the Sippar Library VII. Three Wisdom Texts,Iraq.vol. 60, 1998,p.187–201.

[٨])طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم،بغداد،١٩٧٦،ص ١٤٨.

[9])Moran,W.L.,Notes on the Hymn to Marduk in Ludlul bēl nēmeqi.JAOS, 103/1, 1983,p.255-260.

[10])Ibid,p.258-260.

[11])Lambert,W.G.,Babylonian Wisdom Literature. Eisenbrauns. Winona Lake, Oxford, 1996,p.21ff

[12])Wiseman,D.J.,A New Text of the Babylonian Poem of the Righteous Sufferer, Anatolian Studies 30, 1980,p.101–107

[13])Gray,K.,Blaming God for Our Pain: Human Suffering and the Divine Mind,2010,p.7–16.

[14])Steinert,U.,Aspekte des Menschseins im Alten Mesopotamien,Leiden, 2012,p.331-332

[١٥]) جورج كونتنو، المصدر السابق، ص٣٤٨ وما بعدها

[16] )Lambert,W.G.,Babylonian Creation Myths. MC 16,Winona Lake IN,Eisenbrauns,2013,p.480

[17] ) Spieckermann.H.,Ludlul bēl nēmeqi und die Frage nach der Gerechtigkeit Gottes. In Festschrift für Rykle, 1998,p.331

[18] ) Foster. . B.,Self-Reference of an Akkadian Poet," JAOS 103,1983,p124.

[19] ) Ibid,p.125-127

[٢٠])رعد شمس الدين الكيلاني، الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، بغداد،٢٠٠١،ص٦٢.

[٢١]) طه باقر، مقدمة في أدب ...، المصدر السابق،ص ١٤٨.

[٢٢])عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا،بغداد، ٢٠٠٤،ص١٨٥-١٨٦

[23])Horowitz W. and Lambert W. G.,A New Exemplar of Ludlul Bēl Nēmeqi Tablet I from Birmingham,Iraq,vol,64, 2002,p. 237–245

[24]) Lambert,W.G,op-cit,p.50ff

[25])Tremlin,T., Minds and gods: The cognitive foundations of Religion,New York, 2006,p.231.

[26])Lambert,W.G.,op-cit,2013,p.271-272.

([٢٧])عبد الوهاب حميد رشيد،المصدر السابق،ص١٨٦

[28])Albertz, R.,Ludlul Bēl Nēmeqi – eine Lehrdichtung zur Ausbreitung und Vertiefung der persönlichen Mardukfrömmigkeit,326, 2003,p. 85–105.

[29]) Biggs.R.D., Ludlul Bēl Nēmeqi, I Will Praise the Lord of Wisdom". In The Ancient Near East, 1975, vol.2, New Jersey,p. 148–161

[30])Von Soden.W.,Religion und Sittlichkeit nach der Anschaungen der Babylonier,ZDMG,89,1935,P.143-169

[31])Jacobsen,Th.,Before Philosophy,Chicago,1949,p.217-231.

**المصادر العربية:**

١. جورج كونتنو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور،ترجمة:سليم طه التكريتي،ط٢،بغداد،١٩٨٦.
٢. فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة، بغداد ٢٠٠٠ .
٣. طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم،بغداد،١٩٧٦
٤. رعد شمس الدين الكيلاني، الأنبياء في العراق دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، بغداد،٢٠٠١.
٥. عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا،بغداد،٢٠٠٤

**المصادر الاجنبية**

1. Lambert, W.G., Three literary prayers of the Babylonians,1959-1960.
2. Langdon, S. ,Babylonian Wisdom. London – Paris,1923.
3. Gurney,O.R.,Šubši-Mešrê-Šakkan,Revue d'Assyriologie et d'Archéologie, Orientale, 80, 1986.
4. von Soden,W.,Der leidende Gerechte. Ludlul bēl nēmeqi,Band,3, Gütersloh,1990.

5. Gurney,O.R.,The Middle Babylonian Legal and Economic Texts from Ur,PBS/2 London, 1983.
6. Lambert,W.G.,Babylonian Wisdom Literature. Clarendon Press, Oxford, 1960
7. George,A.R.,Al-Rawi,Tablets from the Sippar Library VII. Three Wisdom Texts,Iraq.vol. 60, 1998.
8. Moran,W.L.,Notes on the Hymn to Marduk in Ludlul bēl nēmeqi. JAOS, 103/1, 1983
9. Lambert,W.G.,Babylonian Wisdom Literature. Eisenbrauns. Winona Lake, Oxford, 1996.
10. Wiseman,D.J.,A New Text of the Babylonian Poem of the Righteous Sufferer, Anatolian Studies 30, 1980.
11. Gray,K.,Blaming God for Our Pain: Human Suffering and the Divine Mind, 2010.
12. Steinert,U.,Aspekte des Menschseins im Alten Mesopotamien, Leiden,2012.
13. Lambert,W.G.,Babylonian Creation Myths. MC 16,Winona Lake IN,Eisenbrauns,2013.
14. Spieckermann.H.,Ludlul bēl nēmeqi und die Frage nach der Gerechtigkeit Gottes. In Festschrift für Rykle, 1998.
15. Foster. . B.,Self-Reference of an Akkadian Poet," JAOS 103,1983
16. Horowitz W. and Lambert W. G.,A New Exemplar of Ludlul Bēl Nēmeqi Tablet I from Birmingham,Iraq,vol,64, 2002.
17. Tremlin,T., Minds and gods: The cognitive foundations of Religion,New York, 2006
18. Albertz, R.,Ludlul Bēl Nēmeqi – eine Lehrdichtung zur Ausbreitung und Vertiefung der persönlichen Mardukfrömmigkeit,326, 2003.
19. Biggs.R.D., Ludlul Bēl Nēmeqi, I Will Praise the Lord of Wisdom". In The Ancient Near East,, vol.2, New Jersey,1975.
20. Jacobsen,Th.,Before Philosophy,Chicago,1949.

# The poem "I Will Glorify the Lord of Wisdom" is one of the masterpieces of wisdom literature from the Middle Babylonian period

**Prof. Dr. Maha Hassan Rasheed**

**College of Basic Education**

**Al-Mustansiriyah University**

dr.mahaalzubaidi@uomustansiriyah.edu.iq

**Keywords:** Nazi-Marutash, Ayoob of Babylon, Marduk, Divine Justice

**Summary:**

A Babylonian poem considered a masterpiece of Mesopotamian wisdom literature, composed in the late Middle Babylonian period during the Kassite rule of Babylon. It enjoyed widespread popularity and was reproduced numerous times during the Neo-Assyrian and Neo-Babylonian periods, and was likely also known in the Achaemenid and Hellenistic periods. The poem is a prayer of thanks dedicated to Marduk, the king of the gods and head of the Babylonian pantheon, presented by the patient tormentor (Šubši-mešri-šakkan), known as Job of Babylon because his story resembles the biblical Job. It was previously believed to consist of four cuneiform tablets, but recent studies have shown that it is actually five cuneiform tablets containing approximately 500 to 600 lines. Its introduction begins with the phrase Ludlul-bêl-nemeq, meaning "I will glorify the Lord of Wisdom."